السنة الثالثة عشرة وأربع مئة

فيها ورد القاضي أبو محمد المناصحي من الحجِّ، فجمع مؤيَّدُ الملك الحاجَّ[1] الخراسانية والقاضي، وعمل لهم سماطاً عظيماً، لعامَّة الناس وخواصِّهم، وخلعَ على القاضي وأصحابِ محمود بن سُبُكْتِكين، وانصرفوا [داعين] شاكرين.

وفي جمادى الآخرة حلف مُشرِّف الدولة لسلطان الدولة، واتَّفقا على يد الأوحد أبي محمد وزير سلطان الدولة، ودخل جلالُ الدولة في الصُّلح، وكان من جملة ما تقرَّر أن يرُدَّ على الدَّيلم الذين ببغداد ما أخذَ من إقطاعاتِهم بفارس وخوزستان، وإقامةِ الخُطبِ لسلطان الدولة ببغداد كما كانت قبل الخلاف، وتحالفا بالأيمان المُغلَّظة، وأشهدَ القُضاةَ والأعيانَ والأشرافَ.

[وفيها أصابَ مشرِّفَ الدولة شناجٌ في رأسه، فتداركوه بالأدوية المرطِّبة، فصَلُح][2].

وفيها فُتِحَ المارستان المؤيَّدي بواسط، وذلك أنه قيل لمؤيَّد الملك: إنَّ واسطاً خاليةٌ من مارستان، مع أنَّها مصرٌ من الأمصار، وهي دِهْليزُ فارس والبلاد الشرقية، فاقتضَتْ ديانتُه وشفقتُه أنَّه عمِلَ مارستان في الكتبيين، وأنفق عليه مالاً عظيماً، وأقام له الخُدَّام والخُزَّان، ونقل إليه من الأشربةِ والأدويةِ والفُرشِ والآلاتِ شيئاً كثيراً، وجلبَ إليه الأطباءَ من البلاد، ووقفَ عليه وقوفاً كثيرةً.

وفيها عمدَ أحدُ الحاجِّ المصريين إلى الحجر الأسود في البيت الحرام، فضربه بدَبُّوسٍ كان في يده حتى شَعَبَه وكسر قِطعاً منه، وعاجله الناسُ فقتلوه، وثار المكيُّون بالمصريين فقتلوا منهم جماعةً ونهبوهم، وركب أبو الفتوح الحسنُ بن جعفر فأطفأ الفتنة، ودافع عن المصريين، وقيل: إنَّ الرجل الذي فعل ذلك من الجُهَّال الذين استغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم.

قال هلال بن الصابئ: وجدتُ كتاباً كُتِب بمصر في سنة أربع عشرة وأربع مئة عن لسان المصريين، وهو كتاب طويل، فمنه: وذهبت طائفة من النَّصرية إلى الغلوِّ في أبينا أمير

(١) في (م) و (م١) عوضاً عنها: أبو علي.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ف) وحدها.

المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وادَّعت فيه ما ادَّعتِ النصارى في المسيح، ونَجَمتْ من هؤلاء الكفَرةِ فرقةٌ سخيفةُ العقول عادلةٌ بجهلها عن سواء السبيل، فغَلَوا فينا غُلوًّا كبيراً، وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكراً من القول وزوراً، ونسبونا بغُلُوِّهم الأشنع وجهلهم المستفظع إلى ما لا يليقُ بنا ذِكْرُه، وإنَّا لَنبرأُ إلى الله تعالى من هؤلاء الجُهَّال الكفَرة الضُلَّال، ونسأل الله أن يُحسِنَ معونتنا إلى إعزازِ دينهِ، وتوطيد قواعدِه وتمكينهِ، والعملِ بما أمرنا به جدُّنا المصطفى، وأبونا عليٌّ المرتضى، وأسلافُنا البررَةُ أعلامُ الهدى، وقد علمتُم يا معشر أوليائنا ودُعاتِنا ما حكَمنا به من قَطْعِ دابرِ هؤلاءِ الكفَرةِ الفُسَّاقِ، والفَجرةِ المُرَّاقِ، وتفَريقْنا لهم في البلاد كلَّ مُفرَّق، وتمزيقِنا لهم كلَّ مُمزَّق، فظَعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين، وكان من جملة مَنْ دعاه الخوفُ منهم إلى الانتزاح رجلٌ من أهل البصرة أهوَجُ أثْوَلُ[1]، ضالٌّ مُضِلٌّ، سارَ مع الحجيج إلى مكة ـ حرسها الله تعالى ـ فَرَقاً من وَقْعِ الحسام، وتستَّر بالحجِّ إلى بيت الله الحرام، فلمَّا حصل بالبيت المُحرَّم المُعظَّم، والمَحَلِّ المُقدَّسِ المُكرَّم، أعلن بالكفر وما كان يُخفيه من المكر، وحملَه لممٌ في عقله على قصد الحجر الأسود، فضربه بدبُّوس [كان في يده] ضرباتٍ متواليات أطارت منه شظايا وُصِلَت بعد ذلك، ثمَّ إنَّ هذا الكافر عُوجِلَ بالقتل على أسوأ أحوالِه، وأضَلِّ أعمالِه، وأُلحِقَ بأمثالِه من الكفرة الواردين مواردَ الضلالة، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولَعمري إنَّ هذه لمصيبةٌ في الإسلام فادحةٌ، ونكايةٌ قادحةٌ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، لقد ارتقى هذا الملعونُ مرتقًى عظيماً، ومقاماً جسيماً، أَذْكَرَ به ما كان أقدَمَ عليه غلامُ ثقيفٍ المعروف بالحجَّاج ـ لعنه الله ـ من إحراقِ البيتِ وهدمِه، وإزالةِ بُنيانِه وردمِه، وذكر كلاماً في هذا المعنى.

وقيل: هذا كان في سنة أربع عشرة وأربع مئة، والأول [أصحُّ و] أظهر، [وهذا قول هلال بن المحسن، وروى أبو الفضل] بن ناصر بإسناده إلى أبي عبد الله [بن] محمد بن [علي] [2] العلوي قال: وفي سنة ثلاث عشرة وأربع مئة كُسِرَ الحجرُ الأسودُ؛ لمَّا

(١) الأثْوَل: المجنون والأحمق. المعجم الوسيط (ثول).

(٢) ما بين حاصرتين هنا في المواضع الآتية من الخبر ليس في (خ)، واستدرك من باقي النسخ، والمنتظم ١٥/ ١٥٤، والخبر فيه.

صُلِّيت الجمعة يومَ النَّفر الأول بمنى، ولم يكن رجع الناس بعْدُ من منى، قام رجلٌ ممن ورد من ناحية مصر بيده سيفٌ مسلولٌ، وبالأخرى دبُّوسٌ، بعد ما قضى الإمامُ الصلاةَ، فقصدَ الحجرَ الأسودَ ليستَلِمَه على الرسم، فضربَ وجهَ الحجر ثلاثَ ضرباتٍ متواليات بالدبُّوس، وقال: إلى متى يُعبَدُ الحجر [الأسود]، ولا محمدٌ ولا عليٌّ يقْدِران على منعي عمَّا أفعله[١]، فإنِّي أهدم هذا البيتَ وأرفعُه، فاتَّقاه الحاضرون وتراجعوا عنه، وكاد يفلت، وكان رجلاً تامَّ القامة، أحمرَ اللون، أشقرَ الشعر، سميناً، وكان على باب المسجد عشرةٌ من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسَبَ رجلٌ من أهل اليمن أو من أهل مكة أو غيرها، فوجأه بخنجر، واحتوشه الناس، فقتلوه وقطَّعوه وأحرقوه بالنار، وقُتِلَ من اتُّهم بمصاحبته ومعاونته على ذلك جماعةٌ [وأُحرقوا بالنار]، وثارتِ الفتنةُ، فكان الظاهر من القتلى أكثرَ من عشرين غير ما أُخفي منهم، وتقشَّر [بعضُ] وجهِ الحجر في وسَطِه من تلك الضربات وتخَشَّن، وزعم بعضُ الحاجِّ أنه سقط منه ثلاثُ قِطَع، واحدةٌ فوق الأخرى، فكأنه ثُقِبَ ثلاثةَ ثقوب، وتساقطت منه شظايا مثلُ الأظفار، وموضع المكسر أسمرُ[٢] يضرب إلى صفرة مُحبَّباً مثل الخشخاش، فجمع بنو شيبة ما تفرَّق منه وعَجنوه بالمِسْكِ واللَّك[٣]، وحشَوا تلك المواضع وطلَوها بطلاء من ذلك، فهو بيِّنٌ لمن تأمَّله، وهو على حاله اليوم.

وفيها تُوفِّي

دُجى الخادمُ

غلامُ الطائع، وكنيتُه أبو الحسن، وكان خصيصاً به، يَسْفِرُ بينه وبين الملوك، وعاش طويلاً، وتُوفِّي ببغداد في ربيع الآخر، وكان سماعُه صحيحاً[٤].

---

(١) في الكامل ٩/ ٣٣٢ والخبر فيه باختصار: إلى متى يُعبد الحجرُ الأسودُ ومحمدٌ وعليٌّ؟ فليمنعني مانع من هذا.

(٢) المثبت من (م) و (م١)، وفي (خ) و (ف): اسم، وفي المنتظم: أحمر.

(٣) في (م) و (م١): اللَّت، واللكُّ: صِبغٌ أحمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الأشجار في جزر الهند الشرقية، يُذاب في الكحول فيكون منه دهان للخشب، المعجم الوسيط (لكك).

(٤) الترجمة في تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٢، والمنتظم ١٥/ ١٥٥.

علي بن عيسى بن سليمان[١]

أبو الحسن، القاضي، المعروف بالسُّكَّري، الفارسي.

ولد ببغداد في صفر سنة سبع وثلاث مئة، وقرأ القرآنَ والأدبَ، وتُوفِّي في شعبان، ودُفِنَ بمقبرة الدير، ومن شعره وأوصى أن يُكتب على قبره: [من الخفيف]

نفسُ يا نفسُ كم تَمادينَ في الغيِّ وتأتينَ بالفِعالِ المَعيبِ
راقبي اللهَ واحذَري موقفَ العر ضِ وخافي يومَ الحسابِ العصيبِ
لا تغُرَّنَّكِ السلامةُ في العَيْـ ـشِ فإنَّ السليمَ رهنُ الخُطوبِ
كلُّ حيٍّ فللْمنون ولا يَدْ فَعُ بأسَ المنونِ كيدُ الأريبِ
واعلمي أنَّ للمنيَّةِ وقتاً سوف يأتي عجلانَ غير هيوبِ
فأَعِدِّي لذلكَ اليومِ زاداً وجواباً للهِ غيرَ كَذوبِ

علي بن هلال[٢]

أبو الحسن، ابن البوَّاب، صاحبُ الخطِّ المشهور، وكان أبوه بوَّاباً لبني بُوَيه، وكان عليٌّ يقصُّ بجامع المنصور، وصحِبَ ابنَ سَمْعون الواعظ واقتبسَ منه، واخترع لنفسه طريقةً في الخَطِّ لم يُسبَقْ إليها.

قال هلال بن الصابئ: دخل أبو الحسن البَتِّي دارَ فخرِ الملك، فوجدَ ابنَ البوَّاب جالساً في عتبة الباب ينتظر خروجَ فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ في العَتَبِ رعايةٌ للنَّسَب. فغضِبَ وقال: لو كان إليَّ أمرٌ ما مكَّنْتُ مِثلَكَ من الدخول. فقال البَتِّي: لا يتركُ الشيخُ صنعتَه.

وكانت وفاتُه يوم السبت ثاني جمادى الآخرة، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب، ورثاه بعضهم، فقال: [من البسيط]

فللقلوبِ التي أبْهَجْتَها حَزَنٌ وللعيونِ التي أقرَرْتَها سَهَرُ
وما لِعيشٍ وقَدْ ودَّعْتَهُ أرَجٌ ولا لِلَيلٍ وقَدْ فارقْتَهُ سَحَرُ

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٥٦.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٢٠ ـ ١٣٤، وينظر السير ١٧/ ٣١٥.

محمد بن محمد بن النعمان[١]

أبو عبد الله، فقيه الشيعة وعالِمُها، ومصنِّف الكتُب في مذهبها، قرأ عليه الرضيُّ والمرتضى وغيرُهما، وكان يسكن بالكَرْخ بدرب رياح، وله حلقةٌ في داره، وكانت له منزلةٌ من بني بُوَيه ومن ملوك الأطراف؛ لأنهم كانوا على مذهبه.

قال الخطيب: كان أحدَ أئمة الضَّلال، صنَّف لهم كتباً كثيرةً في ضلالاتهم، وطعن على الصحابة (رضي الله عنهم)، والسلفِ الصالح، والفقهاءِ وعامةِ المجتهدين، حتى أراح الله منه المسلمين، وكانت وفاتُه بالكَرْخ في رمضان، ودُفِنَ بداره، ثم نُقِلَ إلى مقابر قريش، ورثاه المرتضى، فقال ـ وهو ركيك ـ: [من الخفيف]

مَنْ لِفَضلٍ أَخْرجتَ منهُ خبيئاً ... ومعانٍ فضَضْتَ عنها ختاما
مَنْ يُثيرُ العقولَ من بعدِ ما كُنَّ هُموداً ويفتحُ الأفهاما
مَنْ يُعيرُ الصَّديقَ رأياً إذا ما ... سلَّهُ في الخُطوبِ كانَ حُساما

السنة الرابعة عشرة وأربع مئة

فيها أصعد مُشرِّفُ الدولة من واسط إلى بغداد، وراسل القادرَ بالله؛ لِتلَقِّيه، فتلقَّاه من الزلَّاقة، ولم يكن لقي أحداً من الملوك قبلَه، ركب في طيارة يوم الاثنين لليلتين إن بقيتا من المحرم في أُبَّهة الخلافة، وعليه السَّواد والبُردة، ومعه ولداه الأميران؛ أبو جعفر من جانبه الأيمن، وأبو القاسم من جانبه الأيسر، وبين يديه أبو الحسن علي ابن حاجب النعمان كاتبُه، وحوالي القُبَّة المرتضى، وأبو الحسن[٢] الزينبي، وقاضي القضاة ابنُ أبي الشوارب، وفي الزَّبازب الأشرافُ والخدَمُ والقُرَّاءُ والعلماءُ، والتقاه مُشرِّف الدولة في زَبْزَبه، وصعد إلى طيار الخليفة، وقبَّل الأرضَ مرَّتين، واستوحش له الخليفةُ، وكانت العساكرُ وأهلُ بغداد وقوفاً من الجانبين، وكان يوماً مشهوداً، وعاد مشرِّف الدولة إلى زَبْزَبه ومضى إلى دار المملكة والخليفةُ إلى داره.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٥٧. وينظر السير ١٧/ ٣٤٤.

(٢) بعدها في (ف) زيادة: علي بن.